تاريخ الاستلام: 2023/10/16 تاريخ القبول: 2024/11/26 تاريخ النشر: 2024/12/31

إبراهيم أبو حماد *
جامعة صفاقص – صفاقص (تونس)
Email : IbrahimAboHammad@Yahoo.com

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 18/ العدد 02 –السنة 2024 ص ص 713–722
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

الملخص :

ناقش هذا المقال -الموسوم ب "قراءة في الفصل الثاني من كتاب تقديم الأدب المقارن الموسوم ب "الأدب المقارن بوصفه نظرية أدبية بينية"" المفاهيم الأساسية لهذا الفصل، وفاقا لمنهجية التلقي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها حاجتنا العربية لتفاعلية الأدبية والبينية، والسير على نهج إدوارد سعيد، وعز الدين مناصرة، واحتضانهم عربيا. وتجاوز السلفية المقارنة، التي أصبحت فرنسية أكثر من الفرنسيين.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن البيني، الأدب المقارن الثقافي، دوريشين، إدوارد سعيد، عز الدين المناصرة.

***Abstract*:**

This article, tagged "Reading in the second chapter of the book Presentation of Comparative Literature tagged" Comparative Literature as a Literary Theory ", discussed the basic concepts of this chapter, according to the methodology of theory of reception, and the study reached a number of results, including our need for Arabic interaction and Comparative Literature, following the approach of Edward Said, IDDin AL-manasrh, and Embracing. The Salafism surpassed the comparison, which became more French than French.

***Keywords**: Intercultural Comparative Literature, Cultural Comparative Literature, Ďurišin, Edward Said, Ezzedine AL-manasrh.*

* المؤلف المرسل

المقدمة:

يعالج المقال المفاهيم الأساسية -لعنوان الفصل الثاني الموسوم ب "الأدب المقارن بوصفه نظرية أدبية بينية" من كتاب تقديم الأدب المقارن اتجاهات وتطبيقات جديدة، تأليف سيزر دومينغيز وهارون سوسي وداريو فيلانويفا، ترجمة فؤاد عبد المطلب، سلسة عالم المعرفة لسنة 2017- وخاصة معنى النظرية الأدبية البينية، التي لا تنفصل عن الفكرة العامة للكتاب، إلا أن أهم ما يثير الكتاب جدليته، والامتاع الذي يتضمنه، وإنه مرجع خاص غير عام، مما يدعونا إلى التفكير في التمييز في المراجع بين العامة والخاصة في الحقل البحثي الأدبي ،واشتباك المثقف بالعلوم المعرفية والفلسفية، واتبع المقال منهجية النص والإثراء، وقدم مفاهيما جديدة لمصطلح النظرية التي لا يمكن فصلها عن الكتابة التطبيقية، فالنظرية فكر وممارسة ومنظومة وبيان مرجعية وإجراء، إذ إن السلوفاكي دوريشين الذي يعد مؤسسا لهذ الفن مارس نقدا متخصصا، ومنها مؤلفه " نظرية فن المقارنة الأدبية" و" نظرية العملية الأدبية البينية"، ويتبع الفصل الثاني -محل النقاش-منهجية واضحة بتحديد الآتي:

تمهيد يبين الظاهرة وأهميتها.

أعلام النظرية ومنهم دوريشين

تحديد المصطلحات التي وردت في العنوان والعناوين الموازية

فالنظرية عند دوريشين إجابة عن فرض الدراسة، وتقديم تفسير جديد للظاهرة محل الدراسة، وطرق إعادة فهم المشكلة، فالنظرية نقد مشاكس للفكر السليم، وتقديم مفاهيم جديدة، أو؛ معنى جديد، والنظرية الأدبية البينية هي

تجاوز للتقسيم التقليدي للدراسات الأدبية التي تعنى بالتاريخ والنقد والأدب المقارن إلى إيجاد فرع جديد يهتم بالبينية الأدبية، ولكن لا يكون بديلا عن الأدب المقارن، ولكنه جزء منه، ودراستها موضوعيا على اعتبار أن الموضوع منفصل عن الذات قياسا عن انفصال سرعة الضوء عن المراقب، ولكن كما أن هناك ثوابت مثل سرعة الضوء فهناك متغيرات تختلف باختلاف المراقب مثل الصوت المرتبط ببعد الأجسام، ويبين دوريشين بأن وجود المشكلة بالنسبة إلى النظرية الأدبية البينية يتلخص في الشروط الآتية: وجود وحدة جدلية متناقضة تؤدي إلى ممارسة تاريخية أدبية من خلال التوتر بين تاريخ الأدب القومي وتاريخ الأدب العالمي، فالنظرية بوصفها تفسيرا للمشكلة، مما يقتضي تقديم تفسير لهذه المشكلة تسمى النظرية الأدبية البينية، أو؛ نظرية العملية الأدبية البينية التي تشير إلى التطور والتقدم وطرق الازدهار الأدبية، ونمو الأدب، مما يجعل مفاهيم التطور والنمو المقتبس من الاقتصاد والازهار استعارات اقتصادية في الأدب المقارن البيني.

تعريف النظرية الأدبية البينية:

ويعرف دوريشين النظرية الأدبية البينية: هي تفسير معقد تخميني غير واضح للعملية الأدبية البينية بين أقطاب الأدب القومي والأدب العالمي من خلال فئات وسيطة مثل مجتمعات أدبية بينية معينة، ومجتمعات أدبية بينية قياسية ومبادئ الوسطية الأدبية.

وناقش الفصل التأثيرات المتبادلة بين صانعي المحتوى التنظيري في الأدب المقارن، وذلك بعد مقدمة في الفصل السابق تناولت أن المقارنة تتجاوز الحدود

الإقليمية إلى أدب آخر، أو؛ مجال معرفي غير أدبي وغالبا ما تندرج المقارنة في العلوم الإنسانية، وقدم تلاقحا للأفكار بين المدرسة الأمريكية والفرنسية في مجال الأدب المقارن ومنهم فان تيغم وهنري ريماك صاحب مصنف أزمة الأدب المقارن، وأخيرا دوريشين في محاولة لتقويض المركزية الغربية.

يرى المفهوم الكلاسيكي التأثري أن الكاتب يعيد بشكل آلي إنتاج عنصر من عمل سابق بطريقة سلبية وأحادية الجانب، وبالنسبة إلى درويشين، على العكس، يجب أن يكون التأثري متخيلا ثانية على شكل التلقي، بشكل فردي لكاتب يعيد كتابة العناصر على نحو خلاق من أعمال سابقة، وعلى نحو افتتان كاتب بأعمال معينة من آداب أخرى تكشف شيئا ما عن الوضع البنيوي لها لكل من نظامي الإرسال والتلقي، وهو ليس قضية قيمة. وقد مهدت حجج درويشين حول البعد الإبداعي للتلقي الفردي في الثمانينيات الطريق إلى دراسات التلقي لعمل هانز روبرت وياوس، مما يبين أهمية كتابات دوريشين، والانتقال من نظرية المحاكاة والتناص إلى التلقي.

ويبين الفصل دور درويشين في تقديم تفسير مقارن مشابه في أوروبا إلى الموضوعات الأدبية ومثالها تاريخ الشعر، وكذلك أعمال الشكلانية الروسية في تحديد الأشكال الأدبية ومنها ما انتجه في العام 1929 م أندريه يولس على أساس ما سمي ب "الأشكال البسيطة " في تسعة أشكال منوعة منها القصة الخيالية، أسطورة القديس، الحكاية الرمزية، الخرافة، اللغز، القول المأثور، الحادثة، التقرير، والنكتة التي عدها تأسيسية للأدب العالمي نتيجة التلاقح الثقافي والعلاقات الوراثية التشابهية بين الآداب المتميزة، إذ تتضمن العلاقات الوراثية أشكال التلقي الأدبية

البينية وتكامل الأشكال، وتمييز الأشكال والاتصالات الخارجية والاتصالات الداخلية من التلميح والاقتراض والمحاكاة التهكمية والتقليد الساخر والتبني والانتحال التكيف، والترجمة.

تبدأ العملية الأدبية البينية بمنظور دوريشين بالآداب القومية، وتتقدم منها إلى الأدب العالمي عبر سلسلة من المراحل المتوسطة، فهل يعد كتاب اللغة العربية باللغة العبرية في فلسطين المحتلة جزءٍ من المجتمع الأدبي البيني، وهل هناك فصل بين الحدود الثقافية والحدود السياسية ومثالها الفصل بين يوغسلافيا والاتحاد السوفيتي أدبيا، ومطالب فلسطين بالتحرر الذي لا يقتصر على حقوق الأقلية في الاستقلال الثقافي والحكم الذاتي الثقافي، مما يجعل الكاتب الفلسطيني والجزائري كاتب وطني حتى لو كتب بلغة غيره، بل إنها طريقة لتطوير كتاباتهم.

ولكن لا يمكن اعتبار هذه الفصل تقديم لمدرسة جديدة معلومة سابقا، وهي المدرسة السلوفاكية إذ قدمها عربيا عزالدين مناصرة في كتابه النقد الثقافي المقارن، وهي مدرسة معترف بها، ولكنه بحث في طرق الدراسة الأدبية البينية ومفهمة جديدة للتأثير والتأثر، وتلاقحات فكرية لمدارسها، وإن هذه الطرق تدرس منفردة ففي السينما تعرف بالتكييف، وفي المسرح تعرف بالدراماتورج؛ ولذا فإنها التفاعلية لا التأثير والتأثر.

يقدم الأدب المقارن فرصا لتعدد الثقافات الأدبية ، وترسيخ نظام أدبي عالمي، كرست بشأنه الثقافات بأن "الغرب" مركزا ونقطة مرجعية للآخرين، وللتغلب على المركزية الأوروبية التي تميزت تقليديا بالتخصص ، فيحاول الأدب

المقارن معالجة نصوص غير غربية و أبراجا جديدة مقارنة متعددة التخصصات، ولكن هذه المركزية قد يصعب الفكاك منها بسبب تعمق الغرب معرفيا، وتعقده اقتصاديا، وتلبية الحاجات التي تؤدي إلى تنوع التخصصات وخاصة الدقيقة منها، وبسبب السعي الربحي لبعض الجامعات في الدول القابلة للتطور وصغر مجتمعها واقتصادها؛ وعليه فالكتابة خارج المركزية الغربية مناضلة ومقاومة.

والأصل أن الأدب المقارن مجالا متعدد التخصصات ليس فقط لأنه يعمل مع مجموعة متنوعة من الآداب واللغات ، ولكن لأنه يعتمد أيضا على الأساليب التفسيرية من التخصصات المجاورة المعنية على نطاق واسع بالخطابات الثقافية واللغات والتمثيلات ؛ من بينها الفلسفة والتاريخ والدين والدراسات الكلاسيكية ودراسات الأقاليم والدراسات الافريقية والدراسات النسوية والجنس والأنثروبولوجيا والموسيقى وتاريخ الفن، مما ولد مرونة في الجمع بين مساقات علمية من العديد من الآداب الوطنية، ودراسة الأدب جنبا إلى جنب مع التخصصات الأخرى؛ ولذا فهي السمة المميزة لدراسات الأدب المقارن، مما يستلزم وجود خبير مقارن مجيد للغات وذو ثقافة أو تخصص معرفي أخر في تخصص الأدب المقارن لمناقشة قضايا العولمة والترجمة والثقافة، والعرق، والتاريخ وغيرها من القضايا التي تشتبك مع الدراسات الثقافية.

شعرية الأدب المقارن البيني:

إن مقولة الأدبية لرومان جاكبسون هي تجاوز حدود اللغة والانفتاح على الجماليات التي هي ضالة الناقد، والانفتاح على التخصصات والمعارف الأخرى، ولكن ما جدوى ذلك الفهم النظري، والعالم القابل للتطور يتسم بالركود المعرفي

والتخصصي للأسباب المذكورة أنفا ففي الشق التطبيقي فإن التداخل أو عبور التخصصات ليس مجاله الشهادة الأكاديمية ووجود نخبة علمية وضبط أكاديمي ومهني للتخصص، إذ يفوت العالم العربي مستثنيا تونس ومصر والإمارات العربية المتحدة مسألة الإشراف المشترك بالتشبيك مع جامعات غربية، وأمر المشرف المشارك الذي يعد أصلا في الرسائل والأطاريح العلمية الغربية، وعليه لا فائدة من ترجمة الكتاب ما لم يقابله فائدة مرجوة، وأهمية عملية ومعرفية.

وإذا كان الناقد مشتغلا منشغلا في الأدبية، أو؛ الشعرية فإن باله وروحه قلقه تغدو شمالا وجنوبا بحثا عن الشعرية سواء من أقدم ملحمة عربية سطرها التاريخ وهي ملحمة "جلجامش" إلى انتاجات الشعوب الأخرى من هندية وإفريقية ...مكتوبة، أو؛ شفوية، إذ إن فقدان من يعلم التاريخ الشفوي لفلسطين مثلا يمثل فقدان مكتبة علمية، إذ يذكر الناقد بأنه: ولكن بدون وجود اتصالا ت داخلية بين الشعر المصري والأكادي والكنعاني وحتى السومري، لا يمكننا تحليل العملية البينية التي تؤدي إلى الشعر العبري للكتاب المقدس، وخاصة نشيد الأناشيد ، الذي ربما يكون أجمل حب عالمي كما يصفه ماريان جاليك، الذي يعلن صراحة أن المركزية الغربية التهمت الحضارات الأخرى ومنها آداب العرب، وزيادة على ذلك فإن تعددية اللغات والاستعمار الذي يهيمن ثقافيا بمنظومته الأدلوجية وأجهزته الأخطبوطية مثل الفرانكفونية التي تشكل ثقافة أدبية بينية مقارنة، وبذلك فإن الأدب المقارن هو بيني ابتداء ولكن ليس المحتوى فقط الذي يحدد المقارنة فقد تكون الثقافة

والجغرافيا عاملا وسياقا مقارنا ومثاله الناقد الفلسطيني إدوارد الفلسطيني الذي قدمه الكتاب باعتباره ناقدا مقارنا، علما بأن إدوارد سعيد ظاهرة تندرج في عدد من المجالات النقدية ومنها المقارنة، والنقد الثقافي، وأدب ما بعد الاستعمار، فالأدب والنقد أبي وعصي على القولبة، وينفر من التراتبية والتنظيمية، وهذا ما يؤكد على حقيقة جوهر الأدب الذي يعالج الروح والشعور الإنساني، وذلك يتناقض مع القولبة والنمطية، وقد تكون العنصرية سببا في تحديد مجالات المقارنة مثل الاحتلال الصهيوني فالمقارنة بهدف حاجة أمنية، وفهم المحيط العربي، والقدرة على التنبؤ بسلوكه، وهذا ما يجعل من الكتابة بدون وعي هاجس أمني، وتكبيل للكاتب، وكذلك عدم توازن بين الحرية في الكتابة و فرض قيود فكرية على الكاتب، إضافة إلى مستويات الرقابة المختلفة على عملية الكتابة ومثالها ما انتجه هاني الراهب وزكريا تامر ومحمود درويش ...غسان كنفاني، فالكتابة حرية مما يجعل من الآخر مهتم بهذا الإنتاج الذي يفسر قيم المجتمع وتيماته، ومنها أزمة الحرية في أدب زكريا تامر، أو تحديد اللغات التي تصلح للأدب العالمي وقصرها على اللغات الأوروبية مما يجعل من المركزية الأوروبية لا انفكاك عنها بهذا الدرب، إلا بالمناضلة.

لذا؛ فالنظرية البينية جزء من دراسة المقارنة الأدبية، وهي دراسة لمفهوم البينية والمجتمعات بين الأدبية في تاريخه القصير، واستخدم المفهوم بشكل أساسي في أوروبا الوسطى والشرقية ، إذ كان معظم مؤيدي الفكرة من بين الروس والتشيكيين والسلوفاك، إنها دراسة تفاعلية ثقافية تحد من المركزية الغربية.

و في الآونة الأخيرة، توسع المجال ليشمل دراسات أمريكا اللاتينية، مما يشير إلى نظريات وتفسيرات بديلة ، منزوعة الاستعمار واللامركزية لآداب المحيط المستعمر، و تستكشف هذه التطورات الأدبية عمليات التهجين للثقافة الأصلية المنفصلة سابقا والثقافة الخارجية ، التي دمجت الآن في هويات مختلطة متعددة الثقافات.

يعتمد المفهوم على التداخل الأدبي والأدبية، الذي صاغه رومان جاكوبسون مصطلح الأدب السابق لأول مرة في عام 1921، و يصف البروفيسور ديونز كوريسين ، في نظريته للعملية البينية ،*الأدبية* ، التي يعرفها جاكوبسون موضوعا للمعرفة الأدبية وليس الأدب ، لكونها "صفة أساسية وجوهرية" ، تتخطى حدود الأدب الفردي ، وتتحول إلى البينية، التداخل *الأدبي* هو "الصفة الأساسية والأساسية" للأدب في سياق الأدب الدولي وبين الأعراق ، ومع الأنطولوجي، التصميم ، الذي يضم الأدب العالمي باعتباره المظهر النهائي للتداخل الأدبي.

تبنى Ďurišin وجهة نظر يتشارك فيها المجتمع الأدبي فوق العرقي وفوق القومي، وجميع الأجزاء المكونة له، في ثقافة مشتركة على عكس هذا المفهوم، فإن بعض الآداب ، مثل الآداب اليونانية الحديثة وآداب البلقان الأخرى ، تدرس بحزم الأدب باعتباره تعبيرا عن "ثقافة وطنية خطية".

الخاتمة

مما يبرهن عن حاجتنا عربيا لهذه التفاعلية والسير على نهج إدوارد سعيد، وعز الدين مناصرة، واحتضانهم عربيا. وتجاوز السلفية المقارنة، الذين يحبون الثريد وامتطاء العبيد، والدخلاء على هذا المنهج.